نابو شخاري معبد النصوص التعليمية في بابل

أ.د. هديب حياوي غزالة

مقدمة:

عُرف المعبد في العراقي القديم منذ دور العبيد (٤٥٠٠-٣٨٠٠ق.م) ولعب دوراً واضحاً في مساهمته في عملية التطور الاجتماعي للمجتمع، إذ تميز بسيطرته على معظم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية وأصبح مؤسسة لها نشاط متميز في مجمل فعاليات الحياة اليومية [١]، وقد استعمل الباحث روبرت آدمز (Adams,R) المصطلح(Temple Center) للدلالة على سيطرة المعبد على مختلف أوجه النشاط الاجتماعي والاقتصادي [٢] ولاسيما في دور العبيد وما تلاه من أدوار العصر الحجري المعدني (٥٦٠٠-٢٨٠٠ق.م) في العراق، وهي مرحلة تطورية مهمة من مراحل تطور المجتمعات القديمة في العراق لما حدث فيها من تغيرات في عدة جوانب من حياة الإنسان ولاسيما الحياة الاقتصادية، بعد أن أصبح هناك فائض في الإنتاج الزراعي الذي انعكس على تطور المجتمع في نواحي الحياة المختلفة، ولهذا فقد حتم هذا التطور الجديد في إنتاج القوت أن تكون هناك مؤسسة تشرف وتأخذ دورها في تنظيم النشاط المجتمعي، ولهذا فرضت (مؤسسة المعبد) ويحكم مكانتها الدينية الهيمنة على شؤون المجتمع بوصفها السلطة السياسية كذلك.

Nabu-Shakhari

The Temple of Educational Texts in Babylon

The temple of Nabu Shakhari is discovered recently it lies within a hall that has been never excavated by the German exploring expedition that worked in Babylon between 1899-1914.

This temple is dis tinguished by its typical building plan and the great number of educational texts that had been found in its rooms which confirms that the temple was a school in addition to its religious function. These texts give an idea about the nature of education in the cities of Mesopotamia especially in Babylon.

المعبد في اللغة:

استخدم السومريون لفظة(é) للدلالة على المعبد وتعني البيت أو المسكن بأشكاله المختلفة وصوروه بالعلامة ، 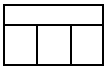 [٣] وأطلقت عليه تسمية بيت bētu أو bit في النصوص الأكدية تعبيراً عن البيت الذي يأوي إليه الإنسان بعد عناء يوم من العمل، ولذلك أصبحت هذه اللفظة اسماً يدل على المعبد أو القصر وذلك لأن الآلهة تحل وتسكن في هذا المكان أي أنه بيت الآلهة [٤]، وقد استمر استعمال لفظة بيت (bit) حتى القرون الأولى للميلاد، إذ شاع استعمال هذه اللفظة عند الآراميين في نصوصهم الكتابية للدلالة عن المعبد أو القصر معاً [٥].

تقسيم المعبد:

قُسم الباحثون المعابد في العراق القديم وحسب أهميتها على ثلاثة أقسام:

١- **المعابد الرئيسة المركزية:** وهي لا تحمل صفة قومية وتعد المركز الرئيس للآلهة ولها يتوجه الجميع عند التعبد مثل معبد الإله ننار (القمر) في أور ومعبد الإله انليل (إله الجو) في نفر والإله شمش(المشمس) في سبار والإله مردوخ في بابل وآشور في آشور وأيا في أريدو.

٢- **المعابد الثانوية ومعابد المدن:** وهذه كانت لآلهة ذات صفات محلية ولم تستمر لأكثر من فترة زمنية معينة مثل معبد سن في خفاجي وأبو في تل اسمر والعقير ومعابد أخرى في نوزي وعكركوف وتل الرماح وكار توكولني ننورتا وتل حداد.

٣- **معابد الأحياء السكنية:** وهي معابد صغيرة تكون أقرب إلى المزارات، ومنها معبد (خندورسانغا) في الحي السكني البابلي القديم في مدينة أور ومعابد تل الرماح وتل محمد وغيرها، وكذلك هناك بعض المعابد ملحقة بالقصور مثل معبد (شو –سن) في تل اسمر ومعبد قصر سرجون في خرساباد [٦].

المظاهر العامة للمعابد العراقية القديمة:

احتفظت المعابد العراقية القديمة بصفاتها ومظاهرها العمارية الأساسية في العصور المختلفة على الرغم ما طرأ على تلك الأبنية من بعض التطورات والتعقيدات سواء من حيث التخطيط أو أسلوب العمارة، وأهم ما يمكن ملاحظته في هذا الجانب هو:

١- تتجه عادة زوايا البناية الأربع إلى الاتجاهات الرئيسة أي الشرق والغرب والشمال والجنوب.

٢- وجود الطلعات والدخلات (Buttresses, Reoesses) تزين الجدران الخارجية ولاسيما في الواجهة الرئيسة.

٣- يكون التخطيط الأرضي للمعبد في الغالب وفي عصور ما قبل التاريخ، أما على هيئة الحرق اللاتيني I ويسمى (I-shape) أو أن يكون على هيئة الحرف اللاتيني T وعندها يطلق عليه (T- shape) .

٤- وجود مذبح (Alter) في الغالب ضمن خلوة المعبد (Cella) وهذه الغرفة هي من أهم وأقدس أجزاء المعبد، وفي كثير من الأحيان يوجد ما يشبه المحراب متصدراً خلوة المعبد وأحياناً يقوم مقام المذبح.

٥- وجود دكة (Podim) أو دكات تستخدم للقرابين (Offering table) وغالباً نجد عندها أثار القرابين والنذور.

٦- يشيد المعبد عادة فوق مسطبة اصطناعية ترتفع عن مستوى سطح الأرض وكانت هذه الفكرة هي النواة الأولى لبناء المعابد المدرجة أو ما يعرف باسم(الزقورات) [٧]

واستناداً إلى ما تقدم نرى أن مثل هذه المظاهر متمثلة بأوضح صورة في معبد نابو شخاري (موضع بحثنا).

الموقع والتسمية:

يعد معبد (نابو شخاري) أحدث المعابد المكتشفة في مدينة بابل وهو ضمن مرتفع لم يسبق أن شمل بأعمال المسح والتحري من قبل البعثة الألمانية التي عملت في بابل ما بين عام١٨٩٩م و ١٩١٤م .

ويقع إلى الشمال من الركن الشمالي الشرقي للجدار المقدس للزقورة (التمينوس) بنحو ٦٠م وقبالة معبد عشتار الأكدية على بعد ١٣م إلى الغرب من القسم الجنوبي لشارع الموكب [٨]، ويمكن القول أن التنقيبات التي قام بها السيد دانيال عوديشو في هذا المعبد في موسم عام ١٩٧٩-١٩٨٠ لم يتم العثور من خلالها على حجر أساس لهذا المعبد وأن الوثيقة الوحيدة التي عثر عليها والتي تخص تسمية المعبد هي الكسرة الصغيرة من الأسطوانة التي تعود إلى الملك نبوخذنصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ق.م) التي وجدت صدفة مع الأنقاض فوق الكيسو (الجدار الساند) عند الواجهة الشرقية للمعبد.

تتضمن هذه الكسرة على بقايا بدايات أسطر العمود الأول بينما فقدت نهاياتها، والمهم في هذه الكسرة هو ذكر اسم معبد الإله نابو وقد حاول الدكتور أنطوان كافينو أن يتوصل إلى وظيفة وتسمية هذا المعبد وتبين أن لهذا المعبد وظيفة مهمة في مراسيم تسلم الملوك مناصبهم، إذ أن اسم معبد نابو شخاري :

(E NIG GIDRI- KALAM MA SUM. MA)

يترجم إلى: **(Bitu nadin hatti ana. madi)**

أي البيت الذي يمنح الصولجان للبلد[٩]، ويمكننا أن نستشف أن نبوخذنصر الثاني الذي ذكر عدة مرات في بعض النصوص المسمارية أعاد بناء هذا المعبد كما ذكر لنا الملك نبونئيد (٥٥٥-٥٣٩ق.م) في نصوصه بأنه قد زار معبد نابو شخاري واخذ منه صولجان الحكم [١٠].

التخطيط العام للمعبد:

لقد ثبت من خلال عمل مجسات في أسافل الجدران بأن المعبد شيد فوق مسطاح مرتفع عن الأرض المحيطة به قليلاً مشكلاً بذلك مسطبة أو قاعدة مشيدة بلبن من قياسات ٣٣×٣٣سم ومغطاة بطبقة من الطين النقي يبلغ سمكها حوالي ٤سم[١١]، وبصورة عامة فان هذا المعبد يضم في تخطيطه ٢٠ غرفة وصومعتين وباحتين تابعتين لكل صومعة [١٢] وله مدخلان الرئيسي منهما يقع في الضلع الشمالي الشرقي ويربطه بشارع الموكب في قسمه الجنوبي، أما المدخل الثانوي فيطل من الضلع الشمالي الغربي على حارة سكنية، وجدران المعبد مفصلة في طلعات جدارية ودخلات، أما عند المدخل الرئيسي فكان هناك برجان مزينان بدخلتين متدرجتين إلى الداخل في كل برج، وتلي البرجين ولكن ببروز أقل مستوى إلى الخارج طلعتان مزينتان بنفس الدخلتين المتدرجتين إلى الداخل في كل جانب، ويبلغ قياس كل من البرجين الرئيسين ٨٧سم : ٢٨٥سم، وتقع أمام المدخل دكتان للقرابين الخارجية، فالدكة المقابلة منهما للمدخل ذات مقطع أفقي مربع والتي تقع خلفها مباشرة وعلى الاستقامة نفيها ذات مقطع مستطيل .

الدكة الأولى هي على بعد ثلاثة أمتار تقريباً من المدخل وبطول ١٠٧سم لكل ضلع وبارتفاع متبقي منه ٢٦٠سم [١٣] والدكة الثانية تبعد ٦٠سم تقريباً خلف الأولى وأبعادها حوالي ١٠٠سم: ٣٠٠سم وبارتفاع الدكة المتقدمة نفسها، ويعود السبب في هذا الارتفاع الكبير هو أنهما تعرضتا للتعلية مع تعلية أرضية المعبد والمدخل وجدران الكيسو المحيط بالمعبد، أما المدخل الثاني للمعبد فهو بعرض ١٥٠سم ولا تكتنفه أبراج، وهي الظاهرة التي تنطبق على كل المعابد في بابل بالنسبة للأبواب الجانبية، وإنما تقتصر على وجود فتحة الباب ضمن دخلة جدارية بين طلعتين على الجانبين تعطيان انطباعاً بأنهما أبراجاً بسيطة [١٤]، أما جدران المعبد فكانت مزينة بزخارف متمثلة بأشرطة ذات لون أسود (من الزفت المخفف) تحصر بينها مساحات شريطية بيضاء (مكسوة بالجص)، وأن بقاء هذه الزخارف على جدران المعبد ربما يدلل لنا على أن المعبد كان مسقفاً، إذ أنه لو كان مكشوفاً لزالت تلك الزخارف من على الجدران بتأثير العوامل الجوية الطبيعية [١٥] واستناداً إلى اسطوانة تشييد اكتشفت في المعبد تعود إلى الملك الآشوري اسر حدون(٦٨٠-٦٦٩ق.م) تشير إلى أن هذا المعبد كان موجوداً قبل زمنه وأنه هدم وخرب مع ما تخرب من بابل بعدما غرقت بالماء بعد فتح نهر الفرات عليها في عهد والده سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ق.م) [١٦] وهذا يعني أن هذا المعبد كان من المعابد التي شيدت في أثناء حكم الآشوريين لبابل واستمرت حتى نهاية العصر البابلي الحديث (٦٢٦-٥٣٩ق.م).

إن ما يثير الانتباه العثور في هذا المعبد على عدد كبير من الرُقم الطينية التي يقدر عددها بـ (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف رقيم[١٧] ويشير الدكتور أنطوان كافينو

والدكتور فاروق الراوي اللذان باشرا قراءة تلك النصوص إلى أن تلك الرقم كانت تخص نوعاً واحداً وهي نصوصاً مدرسية من العصر البابلي الحديث وتشير إلى مراحل بدائية لتعلم الكتابة المسمارية، وهي مكتوبة على الوجه والقفا وقد عثر على تلك الرقم في عدة أماكن من المعبد ولاسيما في الغرفة رقم (٧) تحت الدرج، وفي غرفة رقم (١) وفي لزاوية الجنوبية القريبة من الغرفة رقم (١٥) وكذلك في الغرف رقم (٣) ورقم (٤) إذ شكلت الرقم الطينية أرضية لهذه الغرفة بلغ سمكها حوالي ٣٠سم، ويلاحظ أن هذه الرقم وضعت بشكل منتظم ودكت لتكون أرضية، وهناك أرضية أخرى من الرقم الطينية وجدت أيضاً في الغرفة رقم (٧) من المعبد، وقد تباينت أحجام تلك الرقم الطينية فمنها ما هو صغير ومنها ما هو كبير الحجم (٢٥×٣٤سم) [١٨].

إن العثور على هذا العدد الكبير من النصوص الكتابية (المدرسية) في هذا المعبد يدعو إلى التأمل لاستقصاء الحقيقة ونرجح الرأي القائل بوجود (مدرسة) في المعبد لاسيما أنه معبد الإله نابو (إله الحكمة) [١٩] وهناك إشارات يمكن أن نستشفها من تلك الرقم وهي أن التلاميذ كانوا بمراحل عمرية صغيرة كما يظهر ذلك على رقيم مكتوب بعلامات كبيرة جداً إذ سمى التلميذ رقيمه بـ (Typpi mesheruti) يعني حرفياً (رقم الطفولة) أي رقيم ابتدائي وهذا الرقم يمكن أن يمثل امتحاناً لتلميذ في الصف الأول[٢٠]، وربما كان التلاميذ يقومون بتقديم تلك الرقم الطينية كهدية للإله نابو ليبارك لهم جهودهم ويساعدهم في تعلمهم ويبدو أنها كانت من التقاليد المتعارف عليها [٢١] لأن المجتمع كان مجتمعاً دينياً يهمه التبرك بالآلهة والسعي لنيل رضاها في كل عمل يقوم به.

إن اكتشاف تلك النصوص المدرسية يؤكد أن المعبد كان مدرسة ، فضلاً عن وظيفته الدينية وقد أفادت تلك النصوص المكتشفة في معرفة طبيعة التعليم في مدن العراق القديم وفي بابل خصوصاً.

ومن الجدير بالذكر أن هذا المعبد هو معبد مزدوج الوظيفة فهو يقدس الإله نابو في قسمه الكبير وزوجة الآلهة تشميتوم في القسم الأصغر منه، أي أن هذا المعبد منقسم إلى معبدين متلاصقتين وان الدخول إليهما يتم عبر مدخل مشترك بين ساحتين ومدخل تتم عبر غرف البوابة الرئيسة [٢٢].

هوامش البحث

[١] مهدي، علي محمد ، دور المعبد في المجتمع العراقي من دور العبيد حتى نهاية دور الوركاء ، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٧٥، ص٣٥.

[2] Adams, R. Mcc. " Some Hypotheses on the Development of Early civilization American Antiquity, vol 21, No.3 (1956), PP.227-232.

[3] Falkenstein, A., Archaische Texte aus Uruk Leipsig, P.51.

[4] CAD,B.,P.282, A.

[٥] السلطان ، رينة خليل محمد ، المعابد المركزية في المدن الصحراوية ، العمارة والطقوس، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٠م، ص٣٨.

[٦] سعيد مؤيد،" العمارة من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث"، حضارة العراق، ج٣، بغداد، ١٩٨٥، ص١١٣-١١٤.

[٧] باقر ، طه، معابد العراق القديم، سومر، م٣، ج١، بغداد ١٩٤٧، ص٢١ وما بعدها.

Oates, S.J. " Ur and Eridu, The Prehistory" , IRAQ, vol.22, (1960), P. 45 ff.

[٨] عوديشو، دانيال اسحق، تنقيبات القسم الجنوبي من شارع الموكب ومعبد نابو شخاري، سومر، ج١-٢ ، م٤١، الموصل ، ١٩٨٥، ص٤٩.

[٩] كافينو ، أنطوان ، " معبد الإله نابو شخاري والنصوص المسمارية، سومر ، ج١-٢، م٤١، الموصل، ١٩٨٥، ص٤٥-٤٦.

[١٠] غزالة، هديب، الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦-٥٣٩ق.م) ، دمشق ٢٠٠١، ص١٨٧.

[١١] الدامرجي، مؤيد سعيد، بابل ، عمان، ٢٠١٠، ص٨٩.

[١٢] عوديشو، دانيال، المصدر السابق، ص٥٢.

[١٣] تقرير التنقيبات الخاصة بمعبد نابو شخاري، قسم التوثيق، الهيأة العامة للآثار والتراث. الدامرجي ، مؤيد سعيد، المصدر السابق، ص٩١.

[١٤] تعد التنقيبات الخاصة بالمعبد . الدامرجي ، مؤيد سعيد، المصدر السابق، ص٩١.

[١٥] عوديشو، دانيال اسحق، المصدر السابق ، ص٥٢.

[١٦] الدامرجي، المصدر السابق، ص٨٩.

[١٧] عوديشو، دانيال اسحق، المصدر السابق، ص٥١.

[١٨] كافينو، أنطوان، المصدر السابق، ص٤٦-٤٧.

[١٩] غزالة ، هديب، المصدر السابق، ص١٨٨.

[٢٠] كافينو، أنطوان، المصدر السابق، ص٤٧.

من الجدير بالذكر هنا أن النصوص المدرسية التي عثر عليها في المعبد نشرت بعد قراءتها في الكتاب الذي ألفه الدكتور أنطوان:

CAVIGNEAUX,A.,.TEXTES SCOL,AIRES du TEMPLE de NABŬ ŠA HARE, Baghdad,1981.

[٢١] كافينو، أنطوان، المصدر نفسه، ص٤٧.

[٢٢] الدامرجي، مؤيد سعيد، المصدر السابق، ص٨٩.

شكل رقم (١)

منظر عام للمعبد من الجهة الجنوبية الغربية

شكل رقم(٢)

المدخل الشمالي للمعبد

شكل رقم(٣)

الساحة الوسطية للمعبد وتظهر فيها احد دكاك القرابين

شكل رقم (٤)